منذ عقود والبلاد تمر بمراحل صعبة جداً منها الحروب المتتالية والحصار الاقتصادي وبعدها الاحتلال الذي خلف وراءه كوارث لا تعد ولا تحصى، متمثلة بترهل الحالة الاقتصادية والاجتماعية والوضع الأمني والسياسي الذي حصد الآلاف من الشعب، ما سبب خللا في الوضع الاجتماعي والاقتصادي بجميع مرافق الحياة، وأهم مرفق هو التربية والتعليم الذي اخذ منحى خطيراً، متمثلا بسوء التدريس وضعف الهيئة التدريسية والفساد الإداري والمالي مما تسبب بالوضع الكارثي للطالب الذي يعاني الأمرين بين سلطة الأهل والمدرسة وتمرد الطالب الذي يعيش سطوة غيّرت كل أحلامه وأمنياته التي تجاوزت حدا لا تحمد عقباه، لنذهب معاً ونرى واقع الفتيات في خضم هذه الأحداث المثيرة والشائكة، وقد أخذنا بعض القصص من مدارس ثانوية للبنات.

جريدة المدى كانت لها جولة مع بعض المدارس لتكشف عن حالات كثيرة من الأوضاع التي تعيشها هؤلاء الفتيات في إحدى المدارس ببغداد، شدنا العزم إلى التعرف على أحوال وأوضاع الطالبات..

□ بغداد/ كريمة الربيعي.. عدسة/ محمود رؤوف

قصص تكشف معاناة الفتيات في إكمال دراستهن

إصرارهن على التفوق برغم الفاقة والعوز

الفتيات بين المشاكل الشخصية وعقبات الدراسة

تعيش على الكفاف بسبب الفقر والعوز

يرى باحثون اجتماعيون ان المشاكل التي تعاني منها الطالبات لهاتأثير سلبي لعى الوضع النفسي

هناك حالات تمارسها بعض المدارس بالتصرف غير اللائق، المتمثل بكبت حرية الطالبة وإجبارها والضغط عليها للبس الحجاب وإخضاعها للأمر ومن دون قناعة

وفاء جميل فتاة بعمر الورد تبلغ من العمر ستة عشر عاما تعيش مع أسرتها المكونة من خمسة أفراد، والدها متوفى، تسكن في غرفة بائسة بمنطقة شعبية، رثة الثياب تعيش هي وأخواتها على الكفاف من احد المقربين، ولكن بعد كل هذه المعاناة، استطاعت أن توفق في دروسها بهذا الجو المليء بالمشاكل بسبب العوز والفقر اللذين تواجههما عائلتها، أما والدتها فتعمل في احد البيوت في سبيل سد رمق بناتها الخمسة ومن اجل إعالتهن وما يحتجن من أمور وأشياء أخرى في الدراسة، رغم هذه الحالة التي تعيشها لم تبالِ وفاء بل صارعت الحياة بكل معانيها متفوقة علمياً في الدراسة لكي تستمر في مشوارها، والتي شاءت الأقدار أن تمر عبر حياتها غير المستقرة لتكمل مراحل الدراسة بكل شموخ وعزيمة وهي تقول لدي هدف يجب أن أكمله مهما تكن الظروف المأساوية التي نعيشها فانه لم يتغير من الأمر شيء، بل ذلك يمنحني القوة والسعادة لأننا تعودنا على هذه الحياة، منذ وفاة والدي واجهنا أمورا كثيرة وصعبة وقد أكملت المسيرة الطويلة التي قادتني إلى عالم غريب لا يرحم .

مواصلتها الدراسة رغم الدمار التي تعيشه

أما الطالبة حياة احمد فهي في الصف الخامس العلمي تعيشٍ مع إخوتها الصغار، فكان وضعها مأساويا جدا إذ توفي والداها بسبب الفقر والعوز والمرض تقول حياة "أعيش أنا وإخوتي الصغار في خربة أكل الدهر عليها وشرب وبعد هذه المعاناة احتضننا عمي وكنت أنا الكبيرة بالعائلة دائما اندب حظي لأننا ولدنا من اجل البؤس والقهر والفقر رغم كل هذه الأحداث فإنني متواصلة بالدراسة حتى بيت عمي وأولادهم يحاولون أن يستفزونا لكنني أقاوم بعض الشيء، فاجلس في منتصف الليل وابكي لحال إخوتي وهذه مسؤولية تركها لي والداي بعد أن رحلا من هذه الدنيا التعيسة وأنا الآن أكمل هذه التعاسة حتى لو كان لدي دروس لم احضرها ، تطلبه من أمور تخصها لكنها تبقى في وقت متأخر، لكي تكمل دروسها اليومية لتستعد ليوم آخر لإخوتها، وهذه معاناة صفا وهي تقاوم وتكابد الظروف التي تتحكم بها في سبيل الوصول إلى عالم تحلم به.

تعيش في أحضان جدها

حنين احمد في الصف الخامس الأدبي، فهي الأخرى قصتها تختلف عن الأخريات.. تعيش حياة مأساوية مع أمها بعد تم انفصال والدها عن أمها تركها والدها وكان عمرها خمس سنوات، عانت الأمرين لفراق والدها الذي في داخلها ضمورا وألما لم تشف منه إلى أن وصلت حالتها الى انهيار نفسيتها، وهي تعيش في أحضان جدها الذي وجدت به الأب والجد الحنون رغم كل ذلك لم يتغير من الأمر شيء... تقول: بعد ان تدهورت صحة جدي وصل بنا الأمر إلى حد أننا لا نملك من حطام الدنيا.. فبادرت أمي إلى اتخاذ قرارها بأن تعمل في شركة مع جارتنا لكي تسد رمقنا وحتى أواصل تعليمي الذي هو هدفي في المستقبل لولا الحالة الاقتصادية التي مرت بنا، وقد قررت أن أتابع دروسي لكي أعيل والدتي فهي تعبت في تربيتي عندما غادرنا والدي الذي لم نعرف عنه شيئاً، ولم يسأل علينا.. يجب أن أكون رفيقة والدتي لتنسى ما فاتها من حياتها التي عاشتها بظروف مأساوية .

عدم التوجيه والدراية من قبل الأهل والمدرسات

في بعض المدارس التي تمت زيارتها سمعنا قصصا ليس غريبة في مجتمعنا هذا، ولكن تبدو غريبة بسبب السياسات الموجودة في احد البيوت العراقية مع الأسف لم يكن هناك توجيه من قبل الأهل وخصوصا الأمهات اللواتي يعرفن ما يدور في ذهن بناتهن، وتكون الأم الأكثر دراية بالأعمال التي تقومها خارج البيت، ولكن هذه القصة لفتاة في إحدى المدارس الثانوية وهي ترسل من الموبايل الخاص بها لصديقاتها الأفلام الإباحية عبر المبايلات، ولما كشفت المدرسة الأمر بقيت في حيرة من أمرها، ماذا تفعل بهذا الموضوع فأرسلت لولي أمرها كتابا لفصل ابنتهم أتت والدتها وتم التوسل بمديرة المدرسة وبقيت الطالبة تحت الرقابة ورعاية وأنظار المدرسات... هذا جزء بسيط من هذه المعاناة الموجودة في مجتمعنا الذي واجه الحرمان وسوء السلوك وعدم اهتمام الإباء لهم بسبب الحالة الاقتصادية وعمل الآباء خارج البيت من دون أي رعاية او توجيه.

كبت الحريات في المدارس

وأيضا هناك حالات تمارسها بعض المدارس بالتصرف غير اللائق، المتمثل بكبت حرية الطالبة وإجبارها والضغط عليها للبس الحجاب وإخضاعها للأمر ومن دون قناعة، مما يؤدي الى تفاقم الأزمة داخل المدرسة وهذا يعرقل المسار الحقيقي للفتيات في العملية التربوية ويعلن عن مخاطر اجتماعية ليس بصالح الهيئة التدريسية وبالتالي يكون الامر ليس ايجابيا لفرضٍ شيء جديد يحد من حريتها كإنسانة أولاً وكامرأة تقود المجتمع في يوم من الأيام، ولكن الأمر المفاجئ لها وبكل إصرار يحد من شخصيتها ونفسيتها وحالتها الصحية والعلمية، ولم تتخذ أي قرار بنفسها بعد انعكاس هذا السلوك المفاجئ في حياتها الخاصة بها ولم تكن لديها الرغبة الكافية والاطلاع على روح المساهمة الحقيقية لإدراك العمل اللاانساني لبت القرارات ولكن إجبار الفتيات على هكذا ضغط يجعل من الفتاة تقوم بأعمال خارجة على إرادتها وخصوصا وهي في سن المراهقة يبدو لها الأمر غريبا جدا وهذا ما يؤثر على حالتها الاجتماعية والصحية ودراستها وأشارت بعض الطالبات إلى أنهن مجبورات على لبس الحجاب، مما تقوم بنزعه عند انتهاء الدوام تقول الطالبة (ت، ن، ع) إنني من عائلة منفتحة والداي لم يفرضا علينا ذلك وهو ليس غصبا، فحرية الفرد بتعامله مع الناس بشكل طبيعي وليس الفوضى، ولا لبس الحجاب الذي يجعلك مستورة، ولكن حرية التصرف بحكمةَ والتعامل مع المجتمع بشكل حضاري يصنعان منك أنموذجا خاصا في الحياة.

عدم الاستقرار في حياتها المهنية

أما الطالبة نادية محمد فهي الأخرى تشكو مشاكل اجتماعية.. تقول نادية شاءت الأقدار أن يترك أبي الحياة، وبقيت أنا وأمي وبعد سنة من وفاة والدي تزوجت والدتي من شخص آخر، تعمل والدتي في صالون حلاقة للنساء لم أشاهدها يوما في البيت، لكي تكون هي الأقرب مني، كل سنة ننتقل من سكنانا للبحث عن بيت، وحتى المدرسة لا اعرف استقر فيها ،وما هي حياتي هل هي عبارة عن عقل يتنقل كيف يشاء وأنا متشائمة من حياتي حتى لم اظفر بصديقات، وكل مرة تكون لدي صديقة جديدة ولّد لدي عدم استقرار، اشعر بغربة تأخذني إلى مكان بعيد ترافقني مالا نهاية ، وأشارت الى انه رغم الظروف التي مرت أحاول أن أكمل ما فاتني من دراستي لكن معاناتي كثرت عند زواج والدتي من شخص اجهله تماما فهو لا يعرف الإنسانية، طمّاع يوميا يستفز والدتي بمبلغ من المال، خلفت لدي هذه المعاناة إحباطا في التعليم، أربكت أحلامي وشعوري باليأس، تحوم فوق رأسي من دون استقرار.

التهجير من مكان إلى آخر

تحدثت شيماء حسن عن الأوضاع التي تحيط بها في البيت والمدرسة فهي تعيش في حالة مزرية واحتدام مع المسؤولية التي وكلت لوالدتها بعد مرض والدها لم يوفقهما الحظ بان يكملا دراستهما فقد لجأ إلى العمل من اجل إعالتنا لتوفير لقمة العيش والإيجار، وأشارت شيماء الى انه بعد ان تعرض والدي الى جلطة بسبب التهجير القسري وقتل أخي الأكبر بعد أن اخذوا بيتنا ومحتوياته... فقد تحولنا إلى منطقة أخرى وبدأ حالنا يسوء يوما بعد يوم، حتى والدتي في حال صعب جدا وحالتها النفسية غير مستقرة، ما اخذ الكثير من حياتنا إخواني صغار ولم يتحملوا هذا العبء الكبير وأنا أتألم لحالهم المستوى العلمي الذي بدأ بالتراجع لكثرة المشاكل التي تعاني منها أسرتي وحتى مدرساتي لا يبالين لما اشكي منه، أفكاري مشتتة بعد أن كنت نابغة في الدروس... أسباب كثيرة وراء هذا التشتت للعوائل التي فقدت أحوالها وسعادتها وأبناءها وتدمر كل ما هو جميل .

بعد أن استمعنا إلى قصص الفتيات المؤلمة.. اللائي عشن واقعا غريبا طوق حياتهن بمعاناة جريئة مختلفة الواحدة عن الأخرى.

حول هذا الموضوع التقينا بمديرة مدرسة ثانوية البنات سيروان احمد حسن، التي تحدثت عن واقع الفتيات اللواتي في داخل المدرسة والأسرة قائلة: إن المستوى العلمي متدنٍ جدا بسبب الظروف المحيطة بهن في المناطق الفقيرة، وهناك مشاكل جمة بين تلك العوائل التي تسكن في غرفة واحدة، وهذا ينعكس سلبا على واقع الفتيات وايضا عدم توفير الاحتياجات والمستلزمات للطالبة من الأهل، لان الاحتياجات قد تسد من المدرسة لكن لم تكن هناك اي استجابة من الأهل ولا متابعة، غيابات مستمرة بسبب ذهنية غير صافية ومشتتة قد تؤثر على حضورها اليومي ... نحن بدورنا نعطي نصائح لكل الطالبات.. البعض تبدي الاهتمام الواضح والأخريات لم يسمعن بما نتحدث به لهن وهو فائدة لمستقبلهن... والأمر واضح نعرف تصرفاتهن الغريبة لكن دون جدوى، الاندفاع والغرور والمشاكسة نحن نعذرهن، لان واقعهن المزري للغاية يحكمه موروث اجتماعي مخجل وبيئة لم تكن بالمستوى المطلوب، وهذا الدور ينحسر على الأهل بالتوجيه والنصائح الموجه، بعض الاهل لم يهتموا بفتياتهم وعدم المتابعة اليومية والتنسيق مع ادارة المدرسة وهذا ما نعاني منه نحن الهيئة التدريسية..حيث نواجه الكثير من الاضطرابات النفسية والاجتماعية لدى الطالبات من دون ان نعرف سببها . مدير عام تربية الرصافة الثانية الأستاذ احمد بند فرحان تحدث عن الأمور الضرورية التي تتخذها وزارة التربية والظواهر الغريبة في مجتمعنا وخصوصا في المدارس الثانوية وغيرها، فقال: هي مسؤولية الأسرة والمدرسة للوقوف على الأمور التي تواجه الطلبة،من ترهل الحالة الاقتصادية والاجتماعية والحروب والوضع الأمني الذي سير البلاد نحو الهاوية وانعكاسها على الإنسان العراقي، ومن الامور التي أشار إليها ان التربية أساس المجتمع والاهتمام بالنشء الجديد هو نجاح المجتمع والدولة.. ومخرجات التربية تذهب بدورها إلى الجامعة وبالنتيجة يكون مردودها أكثر تطورا، يعني يكون طبيبا او مهندسا ناجحا إذا بنينا هذا الطفل تربويا وعلميا بشكل مدروس وعلمي يكون إنسانا ناجحا.. حيث المدرسة تكون مركز إشعاع للمجتمع يجب أن نربي أبناءنا جيدا ولذلك نحتاج إلى جهد كبير مثلا ان يكون في كل مدرسة مرشدا تربويا مهمته معالجة الحالة النفسية التي يتعرض لها الطالب، في جمهورية كوريا شاهدت بعض المدارس الموجودة بمستوى لائق وجميل يوحي بجمال بناء هذه المدارس لتصفية روحية وبناء الطالب وتنميته في المستقبل، وكل صف يسع (٣٣) طالبا حتى يسع تفكيره ونشأته في هكذا صفوف ومدارس تشرح القلب في ذهنية صافية من دون مشاكل اجتماعية ونفسية .

اجواء الامتحانات في القاعة الدراسية

الدكتور غازي موسى الخطيب

أستاذ في جامعة المثنى محلل اجتماعي ونفسي أشار إلى ان الوضع الذي تعيشه الفتاة بين الاهل والمدرسة قد يسبب لها الانشغال الفكري عن الدراسة وبالتالي تكون تحت سيطرة عقلها المشتت ولم تع بأمور بعيدة كل البعد... هناك مسائلَ بيولوجية بتعليم الأم ابنتها في فترة النضج وفي سن المراهقة وهذا ما شاهدنا في الدول المتقدمة في ألمانيا واليابان مدارس خاصة لدروس الفتيات بتهيئة الشابة عند النضج، بحيث تعرف الكثير من الأمور التي تواجهها عند النضج في سن المراهقة وان تكون أماً ومربية حقيقية للمجتمع.